

المرأة ودورها المؤثر والمميت



ينشر موقع IR.KHAMENEI الإلعامي مقالاً للأستاذة المحاضرة في الجامعة اللبنانية في علم النفس التربوي د. أميمة عليق تتناول فيه الحديث حول نظرة الإمام الخامنئي لمختلف جوانب المرأة على المستوى الشخصي والاجتماعي والدور المؤثر والممتاز الذي يلحظه سماحته للنساء .

الكاتبة: د. أميمة عليق

هذا ما يؤكد عليه سماحة القائد الخامنئي حين يريد أن يصف ويتحدث عن دور المرأة ومساهمتها في انتصار الثورة الإسلامية في إيران. فلا يمكن أن نرى المشهد النسائي في الجمهورية الإسلامية كاملاً إلا إذا تابعنا ما يقوله الإمام الخامنئي عن المرأة من جهة أو تابعنا رؤيته فيما يتعلق بـ الأسرة من جهة

فالتابع قد يتفاجأ بكثره التواصل بين القائد والنساء من جميع الفئات في الجمهورية الاسلامية، فبالاضافة الى تمييزهن بلقاءات متعددة خاصة بهن كما يحصل في ذكرى ولادة السيدة الزهراء فهو يجعل لهن جزءاً مهماً من أحاديثه في لقاءاته مع طلاب الجامعات أو أساتذة الجامعات أو مع الرياضيين والعمال.

ويعود اهتمامه هذا الى اعتباره أن مسألة المرأة والاسرة من المسائل الأولى في البلاد:

إذ يؤكد: "إن مسألة الأسرة هي مسألة مهمة جدا، القاعدة الأساسية للمجتمع، الخلية الأساسية في المجتمع، ولا يعني هذا فقط أنه إذا كانت هذه الخلية سليمة، فإن السلامة تسري في بقية الأجزاء أو أنها إذا فسدت فإن باقي الأجزاء ستفسد بتبعيتها، بل أنها إذا كانت سليمة فإن الجسم سالم، لأن الجسم ليس شيئا آخر غير الخلايا، كل جهاز هو عبارة عن مجموعة من الخلايا. إذا استطعنا أن نحفظ هذه الخلايا سالمة، فسيكون الجهاز سليماً، المسوالة مهمة لهذه الدرجة. في الأساس فإنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتقدم أبداً إن لم ينعم البلد بمؤسسة أسرية سليمة وحيوية ونشطة، في المجالات الثقافية خاصة وفي غيرها من المجالات لا امكان للتقدم بدون أسر جيدة".

المرأة والأمن الأسري:

يطرح الإمام الخامنئي فكرة أساسية حول نظرية الإسلام للمرأة فيقول: "إن نظرية الإسلام بشكل إجمالي للمرأة هي نظرية مميزة ومتعلية جدا، أعتقد أن الكثير من هذه المشكلات المتعلقة بالنساء ناشئة من مشكلات الحياة الجمعية للأسرة، حيث أن المرأة هي محورها". وبالإضافة إلى الفقه المتعدد للقائد ها هو يدعو إلى سن^٣ القوانين كي تملأ الفراغات القانونية والعرفية والتقليدية العجيبة والمتعلقة فيقول أثناء اللقاء الاستراتيجي للمرأة والأسرة : "أحياناً حين تتصل بنا السيدات - من مجلس الشورى أو من الحوزة أو من المراجعات المختلفة للناس أو من مراكز أخرى - وتطرحن مشكلاتهن نلاحظ أن هذه المشكلات تتعلق بشكل أساسى بالمشكلات داخل الأسرة، إذا كان للمرأة في داخل الأسرة أمن نفسي وأمن أخلاقي وراحة

وسكن ، وكان الزوج لباس لها بشكل حقيقي - كما أنها لباس للزوج - وكما أراد القرآن أن يكون بينهما مودة ورحمة وإذا تم " رعاية " ولهن مثل الذي عليهن" في الأسرة - هذه الأمور التي هي اصول كلية وأساسية حينها ستكون مشكلات المرأة خارج الأسرة قابلة للتحمل ، وستتمكن المرأة من التغلب على هذه المشكلات. إذا تمكنت المرأة أن تخفف من هذه المشكلات في مركز استراحتها وفي متراسها الأساسي، فستتمكن بلا شك، من أن تفعل ذلك في ساحة المجتمع".

نظرة الإسلام إلى المرأة كإنسان:

يسعى الإمام الخامنئي دائمًاٌ وفي معظم اللقاءات والخطابات الى عرض أفكار الإسلام الجذابة والمهم في قضية المرأة فيقول مثلاً: "ان نظرة الإسلام الى الجنس، هي نظرة من الدرجة الثانية؛ النظرة الأولى وبالدرجة الأولى، هي البعد الانساني، والتي لا دور فيها للجنس. لكن الخطاب للإنسان وهناك " يا أيها الذين آمنوا " ولا يوجد " يا أيها الذي آمن" اي أن الصيغة آمنوا هي صيغة ذكورية وليس صيغة أنثوية، ولكن هذا لا يعني أبداً بأن هناك أفضليّة للرجل على المرأة في هذا الخطاب، وإنما هذا ناشئ من عوامل أخرى، وتلك العوامل واضحة بالنسبة لنا. إن الجنس هو أمر ثانوي، هو أمر عارض. يتحلّى عملياً في الحياة. في السير الأساسي للبشر ليس له أي تأثير ولا معنى له. حتى أعمالهم تختلف فيما بينها. "جهاد المرأة حسن التبع" (الللكافي، ج 5، ص 9) أي أن ثواب ذلك الشاب المجاهد الذي وضع دمه على كفه وذهب الى ميدان الحرب يعطى لهذه المرأة. لأن هذا العمل لا يقل تعباً عن الجهاد. بالتأكيد إن التبع أمر صعب جداً، مع توقعاتهم، إنتظاراتهم، مع سوء أخلاقهم، وصوتهم المرتفع وطولهم الفارع؛ حسناً، تستطيع امرأة مع هذه الظروف أن تحافظ على محيط المنزل دافئاً وهائماً، وحنوناً وفيه سكينة وهدوء؛ هذا فنٌ كبير. هذا حقاً جهاد. هذا فرع من ذلك الجهاد الأكبر الذي تكلموا عنه. جهاد مع النفس".

أما بالنسبة الى عمل المرأة خارج الأسرة:

فالإمام الخامنئي لا يترك مناسبة إلا ويشير على دعمه لعمل المرأة خارج المنزل إلا أنه يؤكّد مباشرة على دورها الأساسي في الأسرة فيقول: "بالنسبة لموضوع العائلة، يوجد كلام كثير، مسألة الزوجية، مسألة

الأمومة، كلها مسائل ينبغي التفكك بينها. لدى المرأة في الأسرة دور الزوجية؛ دور الزوجية هذا هو دور استثنائي؛ حتى لو لم يكن هناك دور أمومة. إفرضوا أن هناك امرأة، إما أنها لم ترغب في الإنجاب أو أنها ولأي سبب آخر لم تنجذب؛ ولكنها زوجة. لا ينبغي الإستخفاف بدور الزوجية. إذا أردنا أن يكون الرجل شخصاً مفيدةً في المجتمع، ينبغي لهذه المرأة أن تكون امرأة جيدة في المنزل. وإلا فلن يحصل هذا. نحن اختبرنا (هذا الأمر) في زمن المقاومة وما بعدها في زمن انتصار الثورة؛ الرجال الذين كانت ترافقهم زوجاتهم في حركتهم؛ استطاعوا أن يصدوا في نضالهم وكذلك استطاعوا أن يتبعوا استقامتهم على الطريق الصحيح. وبالطبع كانت هناك حالات معاكسة. أحياناً عندما كنت أقوم بعقد قران لتلك الشابات والشباب الذين كانوا يأتون _ فيما مضى كنت أقوم بهذا ولكن حالياً لا أحظى بهذا التوفيق_ كنت أقول لهم: "إن الكثير من السيدات يجعلن أزواجهن من أهل الجنة؛ والكثير من السيدات أيضاً يجعلن أزواجهن من أهل النار. هذا رهن بهن". وبالتالي فإن للرجال هذا الدور أيضاً. في مجال الأسرة لا ينبغي تجاهل دور الرجال، كذلك. بناء على هذا، إن دور الزوجية هو دور بالغ الأهمية.

ثم هناك دور الأمومة؛ ومن جملة المسائل التي تطرح، مسألة عمل السيدات. إن عمل السيدات هو من جملة الأشياء التي نوافق عليها. إنني موافق على أنواع المشاركة سواء كان من نوع العمل الاقتصادي أو من نوع العمل السياسي والإجتماعي والأنشطة الخيرية وأمثالها؛ فهي جيدة أيضاً. النساء نصف المجتمع وأمر حيد جداً أن نتمكن من الإستفادة من نصف المجتمع هذا في المجالات المتنوعة. ولكن خلاصة القول أن هناك أصلين أو ثلاثة أصول ينبغي رعايتها وعدم تجاهلها. أولها، هو أن لا يلقي هذا العمل بطلاله على العمل الأساسي _ والذي هو عمل الأسرة والزوجية والأمومة والتدبير المنزلي _ وهذا أمر ممكن. أعتقد أن لدينا نماذج عن سيدات كن يقمن بهذا ولا شك بأنهن واجهن بعض الصعوبات؛ درسن وكذلك عملن، أنجزن أعمال البيت، أنجبن أطفالاً، قمن بتربيتهم والإهتمام بهم. فإذاً نحن موافقون على العمل والمشاركة، على ألا تؤثر وتضر بهذه المسألة الأساسية؛ لأن لا بديل عنهن فيها. إن لم تقمن بتربية أبنائهن في المنزل أو لم تقمن بفك عقد خيوط عواطف الطفل الظرفية جداً _ والتي هي أنعم من خيوط الحرير _ بأنفسكن كي لا يتعقد عاطفيها، لا يمكن لأي أحد آخر أن يقوم بهذا العمل. لا أبوه، ولا غيره بطريق أولى؛ إنه عمل الأم فقط. هذه الأعمال هي بيد الأم. أما ذلك الشغل الذي لديك في الخارج، فإن لم تقمن به أنتن فإن هناك عشرة أشخاص آخرين سيقومون بهذا العمل. بناء على هذا، فإن الأولوية هي للعمل الذي لا بديل عنكن فيه، هذا هو المطلوب والمتعين."

وكما يثمن القائد دور المرأة طيلة أيام الثورة فهو لا ينسى دور أمهات وزوجات الشهداء بما لهن من

تأثير في المجتمع فيقول: "في زمن الحرب زمن المحن، زمن الامتحان الصعب كان دور النساء دوراً إستثنائياً" دور أمهات الشهداء دور زوجات الشهداء دور النساء المباشر في ساحة الحرب، في أعمال الحرب وأحياناً وبشكل نادر في الأعمال العسكرية والعمليات ولقد شاهدت عن قرب أعمال الدعم الحربي للنساء في الأهواز؛ لقد كان دوراً منقطع النظير . أن تكون أمّاً، أماً لشهيد، أماً لشهيدين، ثلاثة شهداء، أربعة شهداء، ليس الأمر بالمرحمة؛ ذكره على اللسان سهل ويسير. وهذه الأم بكل عواطفها الأمومية المرهفة والملتهبة ، تفي دورها بشكل تتشجع معه مئة أم أخرى لإرسال أولادهن إلى ساحة الحرب. لو أن تلك الامهات حين وصلتهن جثامين أبنائهم أو لم تصل، صدرت منهنٌ آهات وأنين، عتاب وشق للجيوب أو اعتراض على الإمام وعلى الحرب، فلا شك أن الحرب كانت ستُفشلٌ في تلك السنوات والمراحل الاولى وهذا هو دور أمهات الشهداء، الزوجات الصابرات للشهداء، نساء شابات يفقدن أزواجهن في بداية الحياة الجميلة التي كن يتمنينها".

كما أنه لا يترك فرصة للتنويه بدور المرأة في النظام إذ يقول: "إن دور وحمة السيدات في النظام دور إستثنائي وممتاز". ويكرر دوماً دور النساء منذ بداية الثورة : "مثلما كان دور السيدات في أصل الثورة ممتازاً . منذ بداية الثورة نعلم بأن النساء كان لهن دور (مميز) سواء في بدايات النهضة أو في زمن الثورة أي في تلك السنة والنصف من التحركات الجماهيرية الثورية كان للنساء دور مؤثر ولا بديل له حتى أنهن لم يشاركن في هذه التحركات والتطاهرات الحاسدة والعظيمة، لما كان لهذا التحركات كل ذلك الأثر، إضافة إلى أنه في بعض الأماكن، مثلاً عندنا في مشهد كان إنطلاق التطاهرات بواسطة النساء أي أن أول حركة شعبية كانت حركة نسائية وقد تصدتٌ لهن الشرطة وإنطلقت فيما بعد التحركات من الرجال في النهضة هكذا كان الأمر وكذلك بالنسبة إلى دورهن في تشكيل النظام".

المؤشرات على دور المرأة في الغرب:

وكما يؤكد القائد الخامنئي على أن تطور المجتمع لا يمكن أن يحصل إلا بوجود أسر سليمة يشير في هذا المجال إلى الأسرة والمرأة في الغرب للتأكيد على هذا الأمر: "الأسرة ضرورة، ولا ينقص هذا بأن تقولوا، لا يوجد أسرة في الغرب ولكن يوجد تقدم، إن ما يظهر مؤشراته بشكل أكبر يوماً بعد يوم في خراب مؤسسة الأسرة في الغرب، سوف يلقي بظلاله وآثاره (على الغرب) لا داعي للاستعجال، الأحداث العالمية والتاريخية ليست بالأمر الذي تظهر آثاره فوراً وبسرعة، بل بشكل تدريجي، كما أنه لا يزال يؤثر حتى الآن، في الزمن الذي أنتج الغرب هذا التطور، كانت لا تزال الأسرة هناك محافظة على بنائها، حتى مسألة العلاقة بين

الجنسين كانت لا تزال مضبوطة من خلال رعاية الأخلاق الجنسية، بالطبع ليس بشكلها الاسلامي، وإنما بأسلوبها الخاص، من لديه اطّلاع على المعرفة الغربية سواء في أوروبا أو في أميركا يرى ويشاهد هذا الأمر، حيث كان يوجد هناك رعاية للأخلاق بين الجنسين وكان يوجد حياء واجتناب للتهم وما شابه. لقد نشأت هذه الفلتات والاباحية بشكل تدريجي، لقد تم تمهيد الأرضية في ذلك الزمن واليوم وصلوا الى هذا المستوى. لذلك فإن أوضاعهم اليوم ستنتهي غداً مرّاً وصعباً جداً عليهم، هذه هي الجهة الثانية لطرح مسألة المرأة. ”

” علينا أن نذكر أيضاً، إن الغرب يتهرّب عاماً من طرح مسألة الأسرة، في جميع الأبحاث التي يجرؤونها، يوجد بحث للمرأة ولكن لا يوجد أثر لبحث الأسرة، إن الأسرة هي نقطة ضعف الغرب، إنهم يطرحون مسألة المرأة ولكن لا يذكرون حتى اسم الأسرة، مع أن المرأة ليست منفصلة عن الأسرة، بناءاً على هذا فإن التصدي لهذه المسألة أمر ضروري. ”

ولكنني أعتقد أن الجريمة الأكبر التي اقترفها الغرب في مسألة المرأة والأسرة كانت في نظرته للمرأة، وهذا لا يمكن وصفه بحملة أو اثنين. إن السياسة الغربية توجه أكبر ضربة واهانة لكرامة المرأة، حتى هؤلاء النسويون (الفيمينيزم) والمتشددون – ولديهم مستويات وطبقات مختلفة – يوجهون ضربة للمرأة من حيث لا يشعرون، هو من باب حسن الظن – أي أن العاملين في هذا المجال حسب الظاهر لا يفهمون ماذا يفعلون – ويحتمل أن يكون صناع السياسات والمخططين للبرامج خلف الكواليس على علم كامل بما يفعلون. ”

وفي النهاية يعتبر القائد الخامنئي أن قضية المرأة في العالم اليوم، هي من القضايا التي لا تزال، ومن جهات متعددة، تستحق المتابعة والتأمل والعمل والتفكير. والالتفات الى النقاط الآتية كما أشار في لقائه مع النساء النخبة في العام 2014:

أولاً؛ إن نصف عدد سكان البلدان المختلفة هو من النساء؛ كيف يمكن الاستفادة بشكلٍ سليم من هذه الإمكانيات والموارد العظيمة لما فيه مصلحة أي بلد.

نانياً؛ إن مسألة الهوية الجنسية هي إحدى أكثر مسائل الخلق حساسية ودقّة، فكيف يمكن جعلها في خدمة سمو الإنسان وتعاليه، بدل أن تصبح في خدمة انحطاط البشر والتسافل الأخلاقي؟

ثالثاً: بسبب الفروقات الطبيعية بين جنس المرأة وجنس الرجل، كيف يمكن- سواء في المحيط الاجتماعي أم في داخل الأسرة- أن يؤسس لسلوكٍ ويُصبح ملزماً بأن لا تتعرّض المرأة لأي ظلم؟ هذه مسائل بالغة الأهمية. إننا إن وضعنا هذه المسائل الثلاثة نصب أعيننا وجعلناها محوراً للتفكير والتأمّل والبحث والعمل، فسينتج عن ذلك مجموعة من الجهود والأعمال البحثية والمطالعات النظرية والعملية. لا يتخيلون أحد بأن ظلم النساء مسألة خاصة بالمجتمعات المختلفة أو المجتمعات المتقدمة مثلا؛ كلا، وفي المجتمعات التي يصطلح على تسميتها بالمتقدمة، إن لم يكن ظلم النساء فيها أكثر، فإنه بالتأكيد ليس أقل من المجتمعات الأخرى. حسن، إنها مسائل هامة؛ ينبغي متابعتها والتصدّي لها وطرحها.